اسم المادة: اسم الله الوكيل - الحليم - الله - الملك

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

اسم المادة: اسم الله الوكيل - الحليم - الله - الملك
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151978.htm

الوكيل

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. جعلني الله وإياكم من خيرة عباده الصالحين، ورزقنا وإياكم مزيدًا من الإيمان واليقين.

أحبتي الكرام، في ظلال أسماء الله الحسنى نعيش متعةً في قُرب الأرواح من خالقها، واستئناسها بمعرفة ربها، وأسماء الله –عز وجل– تزيد القلب اقترابًا من ربه، وإيمانًا به، وقيامًا بحقه الواجب –سبحانه وتعالى–.

اسم الله تعالى الوكيل الذي جاء في القرآن نحو أربع عشرة مرة؛ تأكيدًا على هذا المعنى العظيم الجليل لاسم الوكيل –سبحانه وتعالى–.

وحتى يتضح لنا المعنى في سياق معنًى نستعمله في حياتنا المعتادة بين البشر مع البشر، فإن الوكالة التي يُوكِّل فيها أحدٌ منا شخصًا ما ليقضيَ له حاجةً، فيُوكِّله في بيعٍ وشراء، أو في عقد نكاح، أو في إنجاز مُهمةٍ ما، ففلانٌ وكيلٌ لفلان؛ لأنه فوَّضه واعتمد عليه، إما لعجزه عن القيام بأمر نفسه، أو لعدم قدرته على تحقيق ذلك، فيجعل الأمر لغيره؛ ثقةً به واعتمادًا عليه لإنجاز ما يريد وتحقيق المطلوب.

الله –عز وجل– وكيلُ عباده أجمعين، وكان الله على كل شيءٍ وكيلا، فالله –عز وجل– وكيلُ خَلقه، والمراد باسم الوكيل –سبحانه وتعالى– معانٍ تدور على ثلاثة أشياء: بمعنى الكفيل، وبمعنى الحفيظ، وبمعنى الكافي –سبحانه وتعالى–، مرةً أخرى سنجد تقاربًا عظيمًا شديدًا بين أسماء الله تعالى، ونجد اختصاصًا لكل اسم بمعنًى من المعاني.

أحبتي الكرام، الله –عز وجل– أعظم مَن توكَّل عليه العبد، وكفى بالله وكيلًا، هكذا يأمر الله نبيه –عليه الصلاة والسلام– بقوله: "وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا" الأحزاب:٣.

وربنا –عز وجل– أعظم مَن يمكن أن تلجأ إليه القلوب تفويضًا واعتمادًا عليه؛ ثقةً ويقينًا أن الله –عز وجل– كافٍ، وأنه –سبحانه وتعالى– يَكفل شأن الخليقة: أرزاقهم، أقواتهم، حياتهم، مماتهم، معاشهم، معادهم، فالله وكيل –سبحانه وتعالى–.

هذا المعنى العظيم يُلقي بظلاله على قلوب أهل الإسـلام؛ فتنطلق تُحقق معنًى من معاني الإيمان، ووصـفًا من أوصـاف المؤمنين الذي جاء في قول الله سبحانه: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" الأنفال:٢.

هل عقدتَ القلب على صـــدق توكلٍ على الله؟ إذًا أنت بحاجةٍ قبل ذلك إلى أن تملأ القلب من معاني عظمة الله وربوبية الله وألوهية الله؛ ما يحملك على صدق التوكل على الله الوكيل.

هلَّا التفتنا إلى قوله –ســبحانه– جامعًا بين ربوبيته وألوهيته لاســتلزام صـــدق التوكل في مثل قوله: "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" الأنعام:١٠٢، ربوبيةٌ وألوهية، "خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ".

وقوله سـبحانه لنبيه –عليه الصـلاة والسـلام–: "رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" المزمل:٩، مرةً أخرى ربوبيةٌ وألوهية، تسـتلزم بعدها: "فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا".

ثبت في صـحيح البخاري عن ابن عباسٍ –رضـي الله عنهما– قال: "حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ قالوا: {إنَّ النَّاسَ قدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَانًا وقالوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ}".

أرأيتَ إلى مقامين كبيرين لنبيين كريمين صَـدَقا في توكلٍ صـادقٍ عظيمٍ على الله الوكيل؛ فنجَّى الله إبراهيم الخليل –عليه السـلام– من نارٍ تحرق فقال: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَـلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء: ٦٩، ونجَّى الله نبيه –صــلى الله عليه وســلم– وصــحبه الكرام في غزوة حمراء الأسـد لما عادت قريشٌ بعد انفضـاضـها من الموقعة تريد مرةً أخرى العودة كَرةً؛ لاستئصـال شَـأْفة المسـلمين، وقد رأوا عظيم المُصـاب، فلما صَـدَق التوكل من القلب الكريم للنبي العظيم –صــلى الله عليه وســلم– قال الله: "فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْـلٍ لَّمْ يَمْسَـسْـهُمْ سُـوءٌ" آل عمران:١٧٤.

ها هنا نحتاج في إيماننا باسم الله الوكيل سبحانه أن نستشعر هذا الأصل العظيم: "وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" الطلاق:٣.

إيماننا باسـم الوكيل يجعلنا أصـدق في توكلنا على الله واعتمادًا على الله وتفويض أمورنا إلى الله، أمَا إنه التوكل الصـادق الآخذ بالأسباب، وما أجمل مَن قال: "صِـدق التوكُّل يعني تمامُ الأخذ بالأسـباب، مع قَطع التعلق بها"، تُرتَّب الأمور، وتُبذَل وتُطرَق الأبواب، لكن القلوب متعلقة بمُسبب الأسباب ورب الأرباب.

هذا التوكل العظيم عبادةٌ أُمرنا بها معشر المؤمنين، مرتبطةٌ تمام الارتباط باسم ربنا الوكيل –سبحانه وتعالى–.

والله –عز وجل– تكفل بالكفاية لمن توكل عليه "وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْـــبُهُ" الطلاق:٣، ووعد –ســـبحانه وتعالى– لمن أخلص في صدقه والتجائه بصادق العطاء ووافر الجزاء.

فلنُقبل بقلوبٍ صادقةٍ نزيدها إيمانًا بتوكلنا على الله، نصل إلى المطلوب بصدق توكلنا على الله، نستدفع الشرور والمكاره بصدق توكلنا على الله، وكفى بالله وكيلا.

الحليم

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شَعَّثَ القلب، وتفتح للعبد آفَاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، طابت أوقاتكم وعمرت بطاعة الله –تعالى– ومرضاته.

اسم الله –سبحانه وتعالى– الحليم؛ من الأسماء المحببة إلى نفوس العباد، إيمانًا منها بربٍّ كريمٍ عظيمٍ، يغفر الذنب ويصفح ويقبل التوبة –سبحانه وتعالى–.

نحن معشر البشر جُبلنا على التقصير والخطأ والنسيان والعصيان، ولا أحب إلى قلوب العباد من صفةٍ تملأ قلوبهم لربهم بمعنى العفوِ، والتجاوزِ والصفحِ والغفران.

ربنا الحليم –سبحانه–، المتصف بالحلم: وهي الأنَاة، وعدم الاستعجال.

تأملوا يا كرام، فإن ربنا –سبحانه وتعالى– رغم عظمته وقدرته وجبروته، وقدرته –سبحانه– على الانتقام، إلا أنه مطلعٌ على عصيان العصاة، وكفر الكفرة، وتقصير المذنبين، وعصيان المخطئين، وتجاوز المسيئين، علمٌ وقدرةٌ على الانتقام، إلا أنه –جل جلاله– يمهل، ويعطي لعباده متسعاً، ويزيد في آجالهم، بل الأعجب أن حلمه –سبحانه وتعالى– بهم يمدهم بأرزاق وهم على عصيانهم بالله –جل جلاله–، فتعالى الله ما أحلمه –سبحانه وتعالى–.

يا كرام في أخلاق البشر نستعظم صفة الحلم بين البشر، ونراها من صفات السيادة والعز والسُؤدد التي لا تليق إلا بأشراف الناس، وكبرائهم وعظمائهم، يوصف إنسان بالحلم، فيعفو، لا يستفزه طيش طائش ولا جهل جاهل، ولا يطيش عقله بخفةٍ في موقفٍ وحادث، له من الرزانة وسمو النفس وبعد النظر، بل والقدرة على إلجام النفس عن الطيش وردود الأفعال ما يسمو به بين الناس، فكان ولا يزال ذوو الحلم أهل سيادةٍ في أقوامهم وعزٍّ ورياسة، وهم لذلك أهل، أرأيت كيف يسمو فينا الحليم بحلمه؟! وهو حلم إنسان بشرٍ مثلنا يعتريه من النقص والقصور ما يليق بالبشر في الجملة.

بالله عليكم ما الظن بحلم الحليم –سبحانه–؟ الذي لا يضرب له المثل –جل في علاه– ولله المثل الأعلى، إنما أردنا تقريب الصورة لنقول: إن حلم ربنا –عز وجل– يأخذ بنا في مَدىً فسيحٍ يعطي لأحدنا فسحةً فيما بقي من عمره أن يثوب إلى رشده، إن يعود إلى ربه، أن يقترب منه أكثر، أن يعلم أن ربه العظيم الحليم –سبحانه وتعالى– يمهله ولا يعجل عليه بعقوبةٍ ولا مؤاخذة.

تأملوا قول ربكم –عز وجل– في مثل قوله –سبحانه–: "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ"، ما ترك عليها من دابة، هم بظلمهم مستحقون للإفناء، والإزالة من على وجه الحياة، وإخلائهم من هذا الوجود، لكنه حلم الله، "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" النحل:٦١.

وقريبٌ منه قول الله –سبحانه–: "وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" يونس:١١، ومثله أيضا قول الله –سبحانه–: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ" الكهف:٥٨.

هذه رحمة الله وهذا حلم الله، ما أحظانا أمة الإسلام عباد الله بحلم ربنا –سبحانه وتعالى–. ليس يسلم أحد منا من ذنبٍ ولا قصورٍ ولا معصية، لكن الذي يعينه على التوبة والأوبة والرجوع وتصحيح المسار؛ علمه بحلم ربه –سبحانه–، الركون إلى صفة الحليم بحلمه –عز وجل–؛ يفيض على قلوبنا فسحةً في الأمل، وتعظيماً في الرجاء، وربنا الغفور ذو الرحمة، ونلتمس رحمة الله المتضمنة في حلمه؛ ومغفرته وعفوه ورحمته الواسعة، التي أمهلنا بها.

يمسي أحدنا على ذنبٍ وخطيئة، ويصبح في عافية بدن وسعة رزقٍ ورغدٍ من العيش، ويصبح كذلك ويمسي في مثلها.

إن العاقل الفطن والمؤمن اللبيب ليدرك أن إمهال الله بحلمه ليس مرادًا به الرضا عن حاله وشأنه، لكنه حلم الله الذي يمهلنا، فسرعان ما يعود المؤمن الرشيد العاقل إلى ربه فيتوب ويؤوب، ويدرك أن إمهال الله وحلم الله ورحمة الله هي التي وسعتنا، وذلك اللائق بنا معشر العباد، مع ربٍّ كريمٍ عظيم، لا يدرك ذلك إلا قلوبٌ مؤمنة فقهت معنى اسم الله الحليم.

رزقني الله وإياكم أوسع الفقه في أسمائه وصفاته، وآتانا وإياكم حسن العمل بما اقتضته من معانٍ عظيمةٍ نتفيأ ظلالها في رحمته، وكرمه وعفوه وإحسانه، سبحانك ربنا ما أحلمك.

وصلِّ يا ربي وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه أجمعين.

الله

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلم شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض.

فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أطيب الأوقات وأسعد اللحظات تلك التي يعيشها العبد في كنف الله –عز وجل– متنعمًا بطاعته، متقلبًا في ظلال عبادته. وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى من ألذ وأمتع ما يعيشه المرء في تقربه إلى ربه واستئناسه بعظمته وحكمته وجلاله.

ربنا –سبحانه وتعالى– أضاف إلى ذاته العلية من الأسماء والأوصاف ما عرفنا به –سبحانه– بنفسه عن نفسه –جل في علاه–.

تتعدد الأسماء وتتفاوت الأوصاف وكلٌ يدخل منها على القلب ببابٍ يزيده لربه تعظيمًا وإجلالًا، يزيده لربه حبًا وإخباتًا.

لكن الاسم الأعظم الذي تعود إليه الأسماء علم الأعلام، نعم إنه اسم الله –جل وعلا–،

هذا الاسم الكريم الذي لا يوجد في أسماء الله الحسنى اسم تردد في كتاب الله الكريم أكثر منه، إنه يتجاوز الألفين وسبعمائة مرة في كتاب الله الكريم.

أرأيتم تلك المصاحف التي حُمِّر فيها لفظ الجلالة الله باللون الأحمر؛ تمييزاً له عن سائر كلمات القرآن؟ أدعوكم إلى تقليب صفحات المصحف لتكتشفوا أنه لا تكاد تخلو صفحة من تلك الحُمرة التي يضيء بها لفظ الجلالة الله.

الله العلم على الذات الإلهية

ولنا هنا معانٍ عظيمة لا يسع المقام للإحاطة بها فهو اسم الله الأعظم على قول كثير من أهل العلم. اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.

كل اسم من أسماء الله الحسنى فإنه يحمل صفة يتضمنها ذلك الاسم الكريم، فتقول مثلاً اسم الله العليم وصفته العلم، اسم الله الكريم وصفته الكرم، اسم الله الرحمن وصفته الرحمة، اسم الله العظيم وصفته العظمة.

فماذا عساكم أن تقولوا في اسم الله؛ الله؟ فأي صفةٍ هي يحملها هذا الاسم الكريم؟ لن تجد صفة مقصودة محددة بذاتها. أتدرون لما؟ لأن جميع أوصاف أسماء الله الحسنى تعود إلى هذا الاسم الكريم نعم فهو مجمع الأسماء، وعلم الأعلام، ولهذا فإن الله –عز وجل– أضاف الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم الكريم "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" طه:٨، "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" الأعراف:١٨٠

وهكذا نكتشف أن هذا الاسم العظيم من اللطائف العجيبة في تقدير الله في خلقه في الكون الذي نعيش فيه، أنه ما تجرأ مخلوق على مر التاريخ منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ما تجرأ أحد أن ينازع الله –جل جلاله– في اسمه الكريم العظيم الله.

نعم نُوزع –سبحانه وتعالى– في بعض الأسماء وعدى بعض العتاة من خلقه وما أحقرهم على بعض أسمائه وصفاته، فزعموا أنهم يتصفون بها ويتسمون بها، لكن اسم الله بقي محفوظاً.

الله... أصله الإله في قول كثير من أهل العلم، كما تقول الناس أصله الأُناس فإذا جاء لفظ الله ملأ الفم تعظيماً وتفخيما، ملأ القلب إجلالاً وتعظيماً، ملأ الفؤاد حباً وخوفاً واستحضارا لسائر معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

نحن إذا نطق أحدنا فقال الله ... امتثلت كل تلك الأسماء وتناثرت كل تلك المعاني العظيمة التي تعود إلى ربنا –جل جلاله– فأحاطت به من كل جانب.

نحن نقول من أسماء الله الرحمن والكريم والحليم والعظيم والجبار، ولا يصح أن يقول أحدنا من اسماء الجبار الله لأنه الأصل والبقية تعود إليه.

أحبتي الكرام؛ أمة الإسلام في ظلال معاني هذا الاسم الكريم نشهد عظمة تملؤ الفؤاد ولا عجب فإن الله –عز وجل– سبحانه هو القائل في كتابه الكريم "الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" الرعد:٢٨ تعود الأذكار التي تضفي على القلب أُنسًا إلى هذا الاسم العظيم فإذا بنا نقول أستغفر الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر. نعم لا يفارق حياتنا هذا الاسم الكريم العظيم.

الله ... ما أحلاها على اللسان وما أعظمها في الفم

الله ... تجري بها في الشرايين دمي

الله ... أعظم ما يمكن أن يخط بها قلمي

الله ... هو الأنس العظيم الذي تحياه القلوب المؤمنة.

هي السمت الذي يفترق به المسلم عن غيره. أو ما قرأتم قول ربكم –سبحانه–: "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" الزمر:٤٥

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" الأنفال:٢ هذا هو الفارق بين المؤمن العارف بالله، المؤمن بالله، الخاضع لله، المحب لله وبين غيره ممن حُجب قلبه عياذًا بالله عن معرفة الله.

أعظم المعارف معرفة الله، وأجل محبوب هو الله، وأعظم من يخاف ويهاب هو الله، وأجل من تمسكت القلوب بالرجاء وحسن الظن بما عنده هو الله، وأعظم مُتوكل عليه هو الله.

يضيق الكلام وتنتهي الأوقات ولا يضيق حصرنا عن شيء سوى أن يحيط أحدنا كلامًا عن عظمة الله واسم الله الأعظم ... الله.

أيا أمة الإسلام

في ظلال هذا الاسم الكريم الذي نجده مبثوثًا في حياتنا، في أذكارنا صبحًا ومساءً، فيما نقرأ من كلام ربنا، في أحاديث نبينا –صلى الله عليه وسلم– لا يغيب عنا هذا الاسم الكريم، من أجل أن نحياه حياة حقيقية.

يقول –عليه الصلاة والسلام– في إحدى وصاياه العظيمة الكبيرة وما أكثرها: "احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ"[1] يُربط قلب العبد بربه وهو الله، بل عفوًا إنه لا يثبت إسلام عبدٍ حتى ينطق بهذا الاسم على لسانه قائلاً: **لا إله إلا الله**.

هذه كلمة التوحيد المرتبطة باسم الله لا بغيره، وهي أثقل كلمة في الميزان، هي أحسن الحسنات، وأم الطاعات، وأعظم القربات لا إله إلا الله.

ختامًا

ما أجمل كلمة الإمام بن القيم –رحمه الله تعالى– حين قال "إذا فرح الخلق بالناس فافرح أنت بالله، وإذا استغن الخلق بغيرهم فاستغن أنت بالله، وإذا أنس الناس بالناس فليكن أنسك بالله، وإذا طرق الناس أبواب الملوك والكُبراء والعظماء يرجون ما عندهم فاطرق أنت باب الله، والتزم عتبة ربك وخالقك ومولاك".

هذا الاسم العظيم نعيش في أكنافه عظمة لا حدود لها
وأستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[1] صححه الألباني وابن باز

الملك

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أَبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربنا الكريم –سبحانه وتعالى–، عظيمٌ جليل، رحيمٌ غفور، عظيمٌ قدير، مالك المُلك، ذو الجلال والإكرام.

اسم ربنا –سبحانه وتعالى–: المَلِك، اسم عظمةٍ، فخامةٍ، إجلالٍ، مهابةٍ، توقيرٍ وتقديرٍ وتعظيمٍ، هو أحد مُرادات أسماء الله الحسنى ومقاصدها التي تنبغي أن تستقر في قلوبنا معشر العباد.

في ستة مواضع جاء اسم ربنا –سبحانه وتعالى– المَلِك في القرآن الكريم، مرتان جاء مرادفًا لاسم الحق مصاحبًا له:

"فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" المؤمنون:١١٦، "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" طه:١١٤.

وفي موضعين اقترن اسم المَلِك باسم القدوس –سبحانه وتعالى:–

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" الجمعة:١، وفي قوله سبحانه: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ" الحشر:٢٣.

وفي موضعين من كتاب الله جاء اسم المَلِك مضافًا إلى شيءٍ من مملوكاته –جل وعلا:–

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ" الناس١:٢، وأما الأخير فهو في قوله –سبحانه وتعالى– في سورة الفاتحة: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة:٤ على إحدى القراءتين الصحيحتين المتواترتين.

ربنا مَلِك، مَلِك الملوك، ربُّ الأرباب، مالكُ المُلكَ الحقيقيَّ المُطلقَ، الذي لا يُغالَب ولا يُنازَع في مُلكه وملكوته –سبحانه–، ذو الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة.

للعبد مِلكٌ، وبعض العباد ملوك، لكنَّ المِلك والمُلك المنسوب إلى المخلوق جزئيٌّ ضئيلٌ حقير، وأعظم ملوك الأرض مهما اتسع مُلكه وسلطانه، فإنه لا يتجاوز ذرةً في عظمة ملكوت مَلِك الملوك –جل في علاه.–

عندما يمتلئ القلب أيها العبد بأن لك ربًّا مَلِكًا عظيمًا، له المُلك وحده –سبحانه–، في مثل قوله: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الملك:١، ويوم القيامة يقول ربنا –سبحانه وتعالى:– "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" غافر:١٦، ثم يجيب نفسه بنفسه سبحانه: "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" غافر:١٦، أتدري ما الذي سيسري في قلب العبد عندما يستقر عنده هذا المعنى العظيم؟ أجل، هو هذا الافتقار، هذا الذل والخضوع، هذه الاستكانة والإقبال على الله، الاعتراف بعظمته، والخضوع لجلاله، والانقياد لسلطانه، هذا مقصدٌ يُراد من معاني المُلك الذي يُبَث في نفوس العباد بشعورهم أن لهم ربًّا مالكًا سبحانه.

معنًى آخر ينبغي أن تفتقر إليه الخلائق، وتصمد إليه في حوائجها؛ لأنه سبحانه مَلِك، له خزائن السماوات والأرض، وبيده مفاتيح المُلك سبحانه، ولأنه مَلِك فإنَّ المُلك بيده، ومفاتيح العطاء عنده، وحوائج العباد بيديه.

لا تذهب بعيدًا؛ كلُّ ما تحتاجه عبدَ الله وأنتِ أمة الله هو بيد ربنا المَلِك –سبحانه وتعالى.–

إيماننا بمُلك الله وملكوته يجعلنا أكثر انقيادًا لأمره ونهيه، أوَليس المالك المُلكَ المُطلَق؟ أوَليس مَلِك الملوك –جل في علاه–؟ إذًا هو يَملك التصرف والتدبير، والخَلق والتكوين، يملك المنع والعطاء، يملك الحرمان والشقاء، يملك السعادة والهناء.

إلى كل باحثٍ عن سعة رزق، وشفاء مرض؛ هذا هو الله الذي لا إله إلا هو، يغفر ذنبًا، ويفرّج كربًا، ويستر عيبًا، ويُقِيل عثرة، ويستر عورة، هو الله الذي لا إله إلا هو المَلِك، يشفي مريضًا، ويرحم ميتًا، ويُوسّع ضيقًا، يُذل عزيزًا، ويُعز ذليلًا.

فتعالى الله المَلِك الذي له تنقاد الملوك والجبابرة، فتعالى الله المَلِك الذي يملك الملوك وما تملك، وله تُدان جميع الممالك، هو الله الذي لا إله إلا هو، مَلِك الإنس والجان، مَلِك الملائكة وسائر ما خَلَق الله –عز وجل– في الكون سماءً وأرضًا.

نفيض بهذا المعنى بقلوبٍ خاضعة، وعيونٍ دامعة، وأكفٍّ مرتفعة، ودعواتٍ إلى السماء صاعدة تؤمن بأنَّ ما تطلبه من أمانٍ، وما ترجوه، وما تطمح إليه، وما تسأله من ربٍّ عظيمٍ مَلِك، قويّ قادر، عظيمٍ قاهر، رحيمٍ عادل، فإنه سبحانه يعطي مَن يشاء، ويمنع من يشاء.

لأنه المَلِك، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير، لأنه المَلِك، هو القاهر فوق عباده، يعطي بلا حساب، ويرزق من يشاء بغير حساب، لأنه الله المَلِك، إن أعطى فبفضله، وإن منع فبحكمته وعدله، لأنه المَلِك –سبحانه وتعالى–.

ماذا عني وعنك معشر العباد المملوكين وما نملك لمالك المُلك ذي الجلال والإكرام؟ ماذا عن افتقارنا وصِدق تضرعنا؟ ماذا عن تمام عبوديتنا؟

اعلم –رعاك الله– أنه من أعظم ما يمكن أن نقود به أنفسنا لطاعة الله ومرضاته: ملء القلوب والمشاعر والوجدان بأن لنا ربًّا عظيمًا مَلِكًا ينبغي أن نهابه، ويجب أن تمتلئ القلوب لعظمته وسلطانه.

إن أحدَنا ربما اقشعر جلده هيبةً وإجلالًا وتعظيمًا لمُلك مَلِكٍ عظيمٍ من ملوك الدنيا؛ لما يرى من أُبَّهة السلطان، وعظمة المُلك، ونفوذ الأمر والنهي، أمَا إن مُلك مَلِك الملوك أَجَلُّ وأعظم، وتعالى الله، ولا والله لا شيءَ يوازي مُلكه –سبحانه وتعالى–.

إنَّ مَن خلق السماوات والأرض، وقدَّر المقادير، وساق كل شيءٍ بتوقيته –سبحانه وتعالى–، وهو عالم الغيب والشهادة، وكل شيءٍ عنده بمقدار، مَلِكٌ تخضع له القلوب، وتسكن له النفوس؛ عندئذٍ نُوقن أنه لعظيم مُلكه لا يخرج عن أمره شيء، ولا يتجاوز نَهيَه شيء، لعظيم مُلكه فإننا ننقاد لدينه وشريعته.

إننا لإيماننا بمُلك ربنا المَلِك –سبحانه وتعالى– تَقنَع نفوسنا، وتمتلئ ثقةً ورضًا وطمأنينةً بما قدَّر الله، إنْ أعطى فهو المَلِك، وإنْ منع فهو المَلِك، وإنْ رزق أو حجب فهو المَلِك، نحن إنما عبادٌ مملوكون لربنا المَلِك؛ فنحن أحوج إلى الاقتراب من مُلكه، والعيش في سلطانه تحت أمره ونهيه، فتعالى الله المَلِك الحق المبين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.